

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي بتيسمسيلت



العدد: 01 - جوان 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت - الجزائر

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية، الإنجليزية.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الأستاذ : مرسي رشيد

المركز الجامعي : تيسمسيلت - الجزائر -

الهاتف / الفاكس : 046/47/56/18

البريد الإلكتروني : Rachidmersi@yahoo.fr

المعيار

مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية، العلمية، الأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتبسمسيلت.
- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5 سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00 سنتيم عن أعلى الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحة ولا تتجاوز 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُؤدّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراكم وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسؤول عن النشر

الكلمة الافتتاحية

يعرف العالم الطبيعي الواسع، تقلصا في الامتداد إذ أصبح العالم قرية كونية، وبالمقابل اتسع الفضاء المعرفي وانتشر سعيا وراء معرفة أسرار الكون، أسرار تطلبت من العقل البشري حمدا مضنيا لاستقراء تستجليه الملاحظة، وما يخضع للتجربة المخبرية، ليزداد قربا من الخصائص المميزة للكائنات الحية وغير الحية، بل دفعه الفضول إلى تجاوز فضائه الطبيعي إلى عوالم كان التفكير فيها ضربا من المستحيلات، ونزل على سطح القمر، وما زال يدرس إمكانية الحياة على سطح المريخ، ويزداد حقل البحث امتدادا في فضاء لا نهاية له، ولعل مدلول الآية الكريمة: "يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان" دعوة صريحة إلى خليفته في الأرض، لاكتشاف ذاته من خلال الوقوف على حقائق الأشياء وقيمتها أثرها، وخطورة انعكاساتها، وتجلبت دوافع البحث في نوع الاهتمامات التي شغلت لسان، من أكثرها تجريدا، إلى أدقها برهانا، ويبقى الحضور الإنساني يشكل الحلقة الأرهف في هذا العالم الذي أصبح مسرح للعولمة.

لا شك أن واقع التغيرات المتسارعة، وما أفرزته من مواقف جعلت مهمة الباحث معقدة باعتباره مسؤولا عن تشكيل رأس المال البشري النوعي، واستمالة اهتمام المتلقي نحو الموضوعات التي تنمي الطاقة المبدعة فيه، ويسهم في - الوقت ذاته - في ترقية المجتمع وتماسكه.

أثار هذا الهاجس إرادتنا لإنجاز مجلة المعيار لتكون منبرا معرفيا، وإبداعيا، وفكريا، لكل بحث يرقى مضمونه إلى نيل درجة النشر، ليكون إسهاما إضافيا في الحقول المعرفية، ويلبي حاجة الدارس والقارئ من خلال البحوث التي تحتويها المجلة.

لا يفوتني في هذه الافتتاحية أن أشيد بجهد الفريق الذي سهر على إنجاز "المعيار" في هذا الثوب القشيب، الذي يدرك قيمته ذوقا وحسا، ونعد الباحثين والقراء أن "المعيار" سوف تضرب لهم موعدا، مع بحوث أكثر تنوعا وأكثر عمقا.

د. الطيب بن جامعة

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية

رئيس المجلة: د . بن جامعة الطيب
مديرالمركزالجامعي تيسمسيلت
المديرالمسؤول عن النشر: د . بلحسين محمد
مدير مساعد مكلف بالدراسات

رئيس الهيئة: أ . دردار بشير
رئيس التحرير: أ . مرسي رشيد

هيئة التحرير:
أ . تواتي خالد
أ . روشو خالد
أ . يعقوبي قدوية
أ . دايري مسكين
أ . بلخياطي الحاج لونيس
أ . لعقاب الجيلالي

الهيئة العلمية:
أ.د محمد عباس - جامعة تلمسان -
أ.د مختار حبار - جامعة وهران -
أ.د عبد الجليل مرتاض - جامعة تلمسان - أ. رابحي عبد القادر - جامعة سعيدة -
أ.د محمد بلوحي - جامعة بلعباس - د .كبريت علي المركز الجامعي تيسمسيلت -
د . بوسماحة الشيخ - جامعة - تيارت -
أ.د شريط عابد - جامعة - تيارت -

مقالات اللغة والأدب العربي

- * تظهرات الكاف الموصوفة في قصيدة (كفك دالية الوقت) للشاعر الطيب طهوري:
- الأستاذ عبدالقادر راجحي ص 08
- * موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي:
- الأستاذ محمد بناني ص 21
- * النقد الأسطوري بين التأصيل الغربي والمحاولات العربية:
- الأستاذ مرسي رشيد ص 33
- * مدرسة كوستانس وتجربة التلقي بين الفهم والتأويل:
- الأستاذ هواري بلقندوز ص 49
- * بيانات التفسير في الاتجاه العقلي:
- الدكتور غانم حنجار ص 64
- * الوقت والابتداء واثرها في المعنى:
- الأستاذ بن فريجة الجيلالي ص 74
- * الرافي وميلاد لغة جديدة:
- الدكتور بلحسين محمد ص 89
- * التأويل وفك خداع اللغة:
- الأستاذة بولحية صبرينة ص 98
- * الخط الروائي والنقد السيميائي في الجزائر:
- الأستاذ الدكتور عقاق قادة ص 104
- * شعرية الانزياح في التراث العربي بين حضور المعنى وغياب المصطلح:
- الدكتور أحمد بوزيان ص 112

*الاقتصاد اللغوي وفاعلية الإتصال:
- الأستاذ غري بكاي ص 129

مقالات العلوم القانونية والإدارية
* أثر الدلالات الاصولية في تفسير النصوص القانونية:
- الأستاذ محمد عشاب ص 142
* مركز أسرى الحرب في الاديان السماوية:
- الأستاذ روشو خالد ص 155

مقالات العلوم الاقتصادية والتجارية
* الاطار العام للأداء والعوامل المرتبطة به:
- الأستاذ العيداني إلياس ص 166
* المعايير البيئية في اطار المنظمة العالمية للتجارة بين الحماية التجارية وتحقيق التنمية المستدامة:
- لأستاذ ضويحي حمزة ص 183
* حوكمة المؤسسات في الجزائر:
- الأستاذ عمر علي عبد الصمد ص 198

الرافعي وميلاد لغة جديدة

د. محمد بلحسين
معهد اللغات والآداب
المركز الجامعي - تيسمسيلت -

طود شامخ، وعلم من أعلام الفكر والأدب العربيين، صال وجال مناهجاً عن القيم العربية، مدافعاً عن هوية الأمة، ذائداً عن خصوصيات اللغة العربية، تحامل مع أقرانه، وتحالف ضده أترابه، فكانت له مناظرات ومساجلات معهم. يقارع الرأي بالرأي والحجة بالحجة دون أن تشنيه تهمة "المحافظة" في منزلة خصومه التي صارت علامة عليه بل صار رأسها وزعيمها.

هكذا كان الراجعي لا يستكين ولا يهادن في الدفاع عن قناعاته. كان يخيل إليه أنه رسول هذه اللغة وأنه الرجل الرسالي فقصر كل حياته على ما هيأه الله إليه. لكن الراجعي لم يكن مقلداً بالمفهوم السلبي، إذ يتعرض للمفاهيم القديمة ويدع في عرضها، بل إن الراجعي عاش مرحلة الثورة على هذه المفاهيم وكان له فيها موقف يسموه إلى مصاف المجددين تنظيراً وإبداعاً.

لم يكن الراجعي في مواقفه مسلوب اللب بسحر الثقافة الغربية مشدوهاً أمام بهرجما البراق، فلم تمنعه من الاعتراف من المعين العربي الثرّ، فقد حاول أن يقف موقفاً معتدلاً، وكيفَ الموقفين، ليحصل على مفاهيم جديدة.

ينطلق الراجعي من مفاهيم التراث فيُعزّي الشعر في البداية إلى الألفاظ، ويشترط على الشاعر أن تكون لديه كفاية لغوية وذخيرة من الألفاظ، على أن يكون لديه في الآن ذاته القدرة على إخراجها مخارج البيان، فتتصبع الألفاظ بصبغة الذات، لا تخرج كما هي عليه في معايرتها القاموسية، وتكتسب طاقةً جديدة لم تكن عليها من قبل ذلك أن "دورة العبارة الفنية في نفس الكاتب دورة خلق وتركيب، تخرج بها الألفاظ أكبر مما هي، كأنما كسبت من روحه قوة، وأدلّ مما هي عليه، كأنما زاد فيها بضاعته زيادة، فالكاتب العلمي تمر اللغة منه في ذاكرة وتخرج كما دخلت عليها طابع واضعها، ولكنها من الكاتب البياني تمر في مصنع وتخرج عليها طابعه هو".¹

وهكذا يفرق الراجعي بين لغتين: لغة العلم تحافظ على دلالتها الموضوعية، المتعارف عليها، مجردة من ذاتية المبدع، ولغة أدبية، فنية تنزاح عن مدلولاتها القاموسية، من حيث هي ألفاظ تصطبغ بأصباغ الذات، فتبين عما في نفس صاحبها، حتى تقول أكثر مما تقول اللغة العلمية في صرامتها المعيارية. لأن اللفظ "هو وسيلتنا الوحيدة إلى إدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي، وهو الأداة الوحيدة المهيأة للأديب لينقل إلينا من خلالها تجاربه الشعورية، وهو لا يؤدي هاتين المهمتين إلا حين يقع التطابق بينه وبين الحالة الشعورية"²، أي انعكاس القيم الشعورية في تلاوين القيم التعبيرية.

فالشعر من حيث هو تعبير عن حالات الحساسية الفائقة، يحتاج أكثر إلى تمام الانسجام بين الحالة الشعورية التي يحياها الشاعر، وبين اللفظة التي يتخيرها للتعبير عن هذه الحالة، فالتركيب الشعري - في رأي الرافعي - يترصد اللفظة الشعورية فتمنحها الحساسية الشعورية قوة التصوير والإيجاء.

فاللغة الشعورية تندّ عن منطق العقل، وتعطيل آلياته لأنها ترفد من الإلهام الذي يمدّ الشعراء من " الأسرار التي لا يدركها غير الشعراء، فهو كشف للمجهول، هذا الذي سمّاه الرافعي المجهول الشعري وربطه بمعني الوحي"³

وهي نظرة جديدة من الرافعي لمفهوم الشعر غير مسبوق إليها من أبناء جيله، ونظرائه، في البحث المجهول والذي لا يتأقن للعق ومقولاته، فالكون الشعري ليس مما قيل وإنما فيما لم يقل. على أن الرافعي يستكره الصنعة اللفظية، والتكلف البياني باعتباره ضرباً من الرياضة الفكرية يشبه دراسة بعض المسائل الجبرية والهندسية، فتكون العملية أقرب إلى المعادلات منها إلى الأدب والفن والجمال⁴، فسرعان ما تتوسع هذه الفكرة عند الرافعي لتتلاقى مع المذهب الرومانسي حيث يصبح الشعر عنده ضرباً من زخرفة الطبيعة حيناً تبدع الشكل الجميل، لتتم أغراضها من وراءه، وهكذا تتحول اللغة من مجرد ألفاظ مترصّة إلى ضرب من الصناعة الموسيقية، حيث يلجأ الشاعر إلى التكرار أحياناً، وإلى الموازنة والسجع حيناً أخرى، وإلى استغلال الطاقة الصوتية والتعبيرية لبعض الحروف تارةً ثالثة، وإلى مراعاة الحالة النفسية في اقتضاب الجملة أو إطلتها تارةً رابعة⁵.

فلم تعد اللغة الشعورية تأليفاً لغوياً، أو صرفاً لفظياً، وبذلك يقلب الرافعي الموازين العربية السابقة، بحيث تتحول اللغة من وسيلة عادية إلى وسيلة فنية راقية تقبض على المنفلت، وتؤطر الانفعال، وتكشف من خلالها الحساسية الجمالية، تتمثل فيها التجربة الشعورية بكل معناها أو أكثر من معناها.

وبذلك يتقرر بأن التجربة الشعورية هي في أساسها تجربة لغة، على " أن أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية"⁶

فالكلمات والعبارات في الشعر، يقصد من خلالها بعث صور إيحائية، ومنها يعيد الشاعر إلى الكلمات وهما الأول، حيث الارتباط السوي بين الكلمة ومدلولها.

فاللغة الشعورية تنقل التجربة الشعورية التي يستحيل نقلها بغيرها ذلك أن أسلوب الصياغة يستخدمه الكاتب هو التجربة، وهولغة الشعر، فالتجربة الشعورية واللغة الشعورية يشكلان معاً كلاً لا يتجزأ، هذا الكل هو القصيدة الشعرية.

لقد ارتبطت اللغة الشعرية عند الراجعي بواقع التحول العام، بمعناه الواسع، ولمست هذه التجربة أشواقه في تجديد اللغة ومن ثم التوق إلى إبداع أدب جديد،

يغير التجديد مستويات الأسلوب حيث تثبت اللغة قدرتها الفائقة على الإبداع والحدادة. وهكذا لم يعد الراجعي محافظاً وانطلت عليه تلك التهمة التي ألصقتها خصومه خاصة، إذ لم تعد اللغة الشعرية عنده بسيطة يرتبط فيها اللفظ بالمعنى ارتباطاً آلياً، ولم تعد وظيفتها تتجلى في الإبانة عما في نفس صاحبها، بل أصبحت مرتبطة بالغموض، إذا تصرح وتشير ولا توضح، فهي كالشعر، ولطالما ارتبطت اللغة عند الراجعي بالحر.

"لقد لاحظ الباحثون في نشأة اللغة وتطورها أن اللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة ومتساندة في حياة الإنسان، ارتبطت ببعضها منذ النشأة الأولى ارتباطاً وثيقاً"⁸، ومن ثمة فإن اللغة عند الراجعي لا تكشف عن نفسها، بل تقتضي تأمل، وهورأي قريب من رأي بول فاليري **poul valery** الذي يذهب إلى أن الشاعر لا يريد في شعره أن يقول شيئاً، وليس شعره لغزاً يتطلب الحل، كما أنه لا يتضمن حلاً منذ البداية، وليس على الكلمات الشعرية أن تؤثر بوضوح أو أن تقول كل شيء.⁹

فاللغة الشعرية هي اللغة التي تجعل اللغة تقول أكثر مما تقول أي تنحرف في المعايير "حينما تقول هنا لغة الشعر، فلا تقصد من قولنا هذا ما يمكن أن يفهمه المفسر اللغوي، حسب المفهوم المعجمي، أو ما يمكن أن يفهمه النحوي من حيث علاقة اللغة اشتقاقياً وتركيبياً وإنما نغني بلغة الشعر طاقة القصيدة الشعرية وإمكانيتها"¹⁰

وهذا ما دعا إليه الراجعي عبر تنظيراته وإدراكه أن المفهوم لا ينضبط، وأنه مطاطي هلامي لا يتشكل ولا يتقوّل، فيحاول ضبط مفهوم اللغة الشعرية من خلال مقاربات افتراضية مؤسسة من هلامية ما يعتمل في النفس البشرية، "فكلمات الحب كلمات يتغير عليها الحسن فتفهم على أوجه مختلفة وتشاكلها معانٍ كثيرة، وكأن طريقة قولها تخلق فهمها، فما هي من عام اللغة بل من خاصها، واللغة ألفاظٌ مفسرة بما تلبسه، وهذه تفسر بما يلبسها، واللغة تشير إلى الوجود إذ لا يراد بها إلا التغيير للفهم، وهذه تشير إلى غير الموجود أيضاً إذ نريد مع الفهم العاطفة ولا بد أن يعطي فيها القلب إرادة"¹¹

فالرافعي يعطي اللغة أبعاد فلسفية، بالإضافة إلى كونها أداة للتواصل (الوظيفة التواصلية)، حين تتوحد (الشفرة) في الخطاب العادي، فإنها في الوظيفة الشعرية تشير ولا تفسر وتوحي ولا توضح، وتوهم ولا تصرح ذلك أنها تقبض على المجهول، فهي تستحضر الغائب في الحاضر، حتى وإن انعدم وجوداً في الآن الراهن، مفارقة اللغة المعيارية في صرامتها التي تقف عند حدود ماهو كائن بالفعل، لا تكاد تتعدى أغراض التواصل.

فاللغة الشعرية تقبض على الحالة الشعورية في ديمومتها، وفي حركيتها وفي عمقها، وهي بكر بخلاف اللغة المعيارية التي تسرد الحالة في سكونيتها، باهتةً باردةً في حركة أفقية.

فالرافعي يعطي اللغة الشعرية أبعاداً حداثية وإن ألصق به خصومه - في ذكاء ودهاء - سمة الإبتاع والمحافظة، لكن واقع الحال يثبت للرافعي جدارته الوراثية في تجديد اللغة الشعرية " وهي توجز مهمة الرافعي الشاعر المجدد، الذي يرفض النموذج السلفي في الاستخدام اللغوي، وهنا يكمن الجانب المتقدم في ريادته الشعرية"¹².

وعليه يمكن استنتاج مفهوم اللغة انطلاقاً من وظيفتها وفق المخطط التالي

اللغة المعيارية ← تواصل ← ما هو كائن بالفعل ← سكون العقل

اللغة الشعرية ← جمالية ← ما يجب أن يكون ← حركة القلب

ولهذا يعقد الرافعي رابطةً بين لغة الشعر ولغة الحب فيكون الحديث "عن لغة الحب وكأنه حديث عن لغة الشعر... حاول كاتب ما ان يعقد مقارنة بين هذه اللغة ولغة الشعر كما يراها ويحددها الان شعراء الحداثة في الوطن العربي والعالم"¹³.

وبهذه الرؤيا الاستشرافية التي تخترق الزمن، أعطى الرافعي للغة الشعرية مفهوماً زنبقياً مطاطياً يضيق ويتسع بقدر الحاجة الروحية، من حيث أن اللغة اقترنت بدءاً بعملية الخلق الإنساني، ولهذا كانت للإنسان الأفضلية وخلافة الله في الأرض، "فقد عرف الإنسان العالم أو حاول أن يعرفه لأول مرة، يوم عرف اللغة، وهولم يعرف السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة، ولم يعرف الشعر إلا يوم أدرك قوة السحر، فاللغة والسحر والشعر ظواهر مترادفة في حياة الإنسان"¹⁴.

ذلك أن الاستخدام الشعري للغة هو أقرب الاستخدامات إلى طبيعتها الأولى، حيث الانبهار والتأهي مع الوجود، ويتجلى ذلك في عملية الخلق اللغوي بفعل المجاز الذي يعطيها روحاً جديدة وطاقاً متولدة متأججة تتوهج فيها حذوة الجمال .

واللغة في الشعر تجاوز وتتخطى كل ما هو كائن، راهن راكد ومعاد بفعل (الرؤيا)، من العَرَض إلى الجوهر، ومن الشكل الثابت إلى الهلامي الذي لا يتشكل وهي " رغبة الشاعر المبدع الذي يحاول دائماً التماسك بالمكانات الخيالية، وتصور المستحيل¹⁵

فليس إدراك اللغة في قاموسيتها، روايةً ودرايةً هوما تجعلها تفضي بسرّها إلى مدرّكها، بل الشعراء هم من يتكلمون سر الكلمة لأنهم يدركون - بفرط حساسيتهم - معنى السحر في الكلمة، وهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي - ومن هوا الخليل ؟ يعترف - وأي اعتراف - إن " الشعراء هم أمراء الكلام¹⁶ "، ولهذا جوزوا للشاعر ما لم يجوزوا لغيره . ويكفي اللغويين والنحاة هم أرباب القواعد يعتدّون بقول الشعراء كشواهد في تقعيداتهم النحوية .

والرافعي مثله مثل أي مبدع خاض غمار الكلمة، وعانى ميلادها على الرغم من الحيف الذي تعرض له والطمس الذي سلبه ريادته، فالكلمة الشعرية عنده هي الكلمة الجديدة، الكلمة التي لم يسبق لها وجود، ومعنى جدتها - عند الرافعي - ليس بمعنى أنها لم تستعمل من قبل، بل أن تفرغ من دلالتها المتواضعة وحملتها التاريخية وتشحن بطاقة جديدة، تتحول من فعل الدلالة إلى فعل الإشارة، أو كما تسمى " تثوير اللغة "، فالشاعر كي يتمكن من خلق لغة القدامى.

لهذه لا بد أن يعاد النظر أولاً في الكلمات، فهولن يستطيع أن يخرج عالماً جديداً بكلمات مستعملة، فقدت كل معنى، واستنفذت حرارتها ووهجها، فتحوّلت بفعل التداول إلى التكرار والاجترار والابتدال، محولة دلالتها المجازية إلى دلالتها الحرفية كارتباط اللفظ بالمعنى¹⁷

ولا ريب أنه بذلك الصنيع قد فتح الافاق واسعة أمام الموهبين إلى التجاوب وإلى طرق أبواب الحداثة مع الاهتمام التام بصحة اللغة ونقا المضمون¹⁸

واللغة العربية عند الرافعي كالدين، تبلغ عصبيته لها حد الغل والتطرف، فهي فريدة بين اللغات، كاملة لا نقص يعتورها ولا شية فيها، لا تحتاج إلى تطوير لأنها كما يرى بنيت " على أصل سحري يجعل شبابها خالداً فلا تهرم لأنها أعدت من الأزل¹⁹ .

فالكلمة عند الرافعي اقترنت أزلاً بما قبل الوجود، وبالله، من خلال العرفان الذي يجعل من الكلمة مظهراً للوجود، وكما ورد في الإنجيل " في البدء كانت الكلمة ...²⁰ .

وقد أفاد الرافعي كثيراً من معرفته الواسعة باللغة العربية وتحرره فيها في خلق ضروب جديدة من التعابير خرج في بعضها عن الموروث وجرى على منوالها في بعضها الآخر، لذلك فهو يسعى إلى خلق نوع من التصوير الكتابي، أو تأسيس جديد لمفهوم الكتابة، محاولاً أن يؤسس نمطاً من الكتابة الجديدة، يضعها بين معاصريه لعلمهم يفيدون منها، من حيث هي أمثلة لا قواعد، وهي دعوى ملحة من

الرافعي في رفض الاحتذاء والمحاكاة، لأنه يقبح لا ينبج إلا قبحاً. وكانت غايته كما يقول "وأنا أرجو أن أكون قد وضعت لطلبة الإنشاء المتطلعين لهذا الأسلوب أمثلة من علم التصوير الكتابي، الذي توضع أمثله ولا توضع القواعد في جملتها إلهام ينتهي إلى الإحساس وإحساس ينتهي إلى الذوق، وذوق يفيض الإحساس والإلهام على الكتابة"²¹.

فالرافعي يعالج فن الكتابة، في ذاته بلغة جالية وبراعة بلاغية، قد أوفى منها أسباباً، حيث وضع نموذج للجالية اللغة، وكيف تتشكل انسيابيتها ومرونتها وكيف هي مطوعة للشعرية، وهي صالحة لقول ما لا يقال شعراً ونثراً، ليتوحدا معاً في مفهوم الكتابة.

فالرافعي بوعي منه لهذه الإشكالية المعقدة، التي عالجها إبداعاً وتنظيراً "قد أسهم في وضع البنات الأولى في فن الكتابة الأدبية المعاصرة"²²، من خلال التركيز على فاعلية اللغة الشعرية المتجلية في خلق نماذج نثرية تقارب الشعر إن لم تكنه بالفعل، إذ تتماهى الأجناس الأدبية فيما يسمى بالشعرية، ذلك أن الشاعر "يفعل في اللغة بواسطة اللغة"²³، من حيث أن العملية الإبداعية هي تجربة لغة في الأساس.

لذلك يذهب الرافعي إلى أبعد من ذلك في الكشف عن التجربة الشعرية وتأثيرها عن الكشف واستعصائها عن التجلي، فليس الشأن فيها "أن نجد في الشعر حوادث عصره أكثرها أو أقلها فإن فوق هذه المنزلة أعلى منها وهي أن توجد حوادث النهضة بشعر الشاعر وأن يكون في شعره عنصر الناري في اللغة الشعبية."²⁴

وهذه فتنة متقدمة وسابقة متطرفة إذا ما قيسست بمحافظه الرافعي ودفاعه المستميت عن اللغة العربية وبلاغتها ولكن مفهوم الإبداع مقارنة اللغة منه جعل الرافعي يبحث عن ما يجعل التجربة متجلية في اللغة، ذلك أن في كثير من الحالات تقف اللغة عاجزة عن استكناه الدواخل الجوانية ولهذا أطلق النفري مقلته الشهيرة، "إذا اتسعت الرؤيا صافت العبارة، وهذا ما حدا بالرافعي - وهو من هو محافظ - أن لا يجد غضاضة في الاستعانة باللغة الشعبية من أجل القبض على ما أسماه "العنصر الناري، أي القبض على الحالة الشعورية وهي بكر في حرارتها وعمقها في تجريدتها.

إن اللغة يصيبها الصدا والتكلس والابتدال، جراء الاستعمال فتستنفذ طاقتها الإيحائية، فيتحول ما كان مجازاً استعمال حقيقي رتيب، فتفقد الصور وهجها، وتصير ذات دلالات متعارف عليها كما هي في التاموس، وكذلك فالشاعر هو الذي يعطي للغة روحاً جديدة، ومن كذلك جوزوا للشاعر ما لم يجوزوا لغيره، ومما جعل الخليل - كما سلف القول، يعد الشاعر أمير الكلام، وليت شعري: إنها

شهادة تغني عن رحلة تنقطع دون أشواطها الأنفاس، ولم يشذ الرافعي عن سلفه حين أعطى للشاعر ما لم يعطه لغيره.

الهوامش :

- 1- مصطفى صادق الرافعي : وحي القلم، ضبطه وصممه وعلق على هوامشه محمد سعيد العريان - بيروت - لبنان - ج:1 - د.ط - د.ت - ص: 17
- 2- سيد قطب : النقد الأدبي، أصوله ومناهجه دار الشروق، ط 5 - 1430 هـ 1983 - ص: 70
- 3- مصطفى الجوزو: مصطفى صادق الرافعي : رائد الرمزية العربية المطلة على السورالية - دار الأندلس للطباعة والنشر - ط 1 1985 - ص : 189.
- 4 - ينظر: المرجع نفسه، ص 252.
- 5 - المرجع نفسه ص : 252
- 6 - محمد غني هلال: النقد الأدبي الحديث - القاهرة - دار مطابع الشعب ط : 3 1964 ص : 415.
- 7- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي: مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية د.ط، د.ت.ص: 67
- 8- ينظر: السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث ص : 62.
- 9- مصطفى الجوزو: مصطفى صادق الرافعي: ص: 69.
- 10- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث ص : 64.
- 11- مصطفى صادق الرافعي، أوراق الورد: رسائلها ورسائله، راجعه : درويش علي، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، 2002 ص : 245.
- 12- عبد العزيز المقالح: عمالقة عند مطلع القرن، منشورات دار الاداب، بيروت، د.ط، د.ت، ص: 170.
- 13- المرجع نفسه، ص: 175.
- 14- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي القديم، دار غريب، مصر، د.ط، د.ت، ص: 173.
- 15- عبد العزيز المقالح: عمالقة عند مطلع القرن، ص: 174 .

- 16- ينظر: لطفي اليوسفي: الشعر والشعرية، الفلاسفة والمفكرون العرب- ما أنجزوه وما هفوا إليه- الدار العربية للكتاب، تونس، د.ط- 1992، ص: 50.
- 17- ينظر الأدب والأنواع الأدبية، نخبة من الأساتذة - ترجمه طاهر حجار- قدم له محمود البداوي - ط- 1- 1985، ص: 251.
- 18- المقالح ص: 165.
- 19- أنيس المقدسي: الفنون الأدبية أحلامها واللغة العربية الحديثة دار العلم للملايين ط 3 - 1980 ص: 308.
- 20- أنجيل يوحنا، جمعية الكتاب المقدس، العهد الجديد، الإصحاح الأول، ص: 145.
- 21- الرافعي، حديث العمر ص: 6
- 22- المقالح ص: 134
- 23- لطفي من حيث العملية الإبداعية هي تجربة لغة في الأساس، ص: 22.
- 24- الرافعي: وحي القلم ج 3 ص: 50